

الاقتصاد

[100] علم استحقاق العقاب على المعاصي زائداً على استحقاق الذم كان ذلك صارفاً له عن فعل القبيح، وكذلك من علم استحقاق الثواب على الطاعة زائداً على المدح كان ذلك داعياً إلى فعله، وإذا كان العلم باستحقاق الثواب والعقاب لا يتم إلا بعد العلم بالله تعالى على صفاته من كونه قادراً عالماً وجبت معرفته بهذه الصفة. فيعلم كونه قادراً ليعلم أنه قادر على عقابه وثوابه، ويعلم أنه عالم ليعلم بمبلغ المستحق، ويعلمه حكيماً ليعلم أنه لا يخل بواجب من الثواب ولا يفعل القبيح من عقاب غير مستحق. فاللطف في الحقيقة هو العلم باستحقاق الثواب والعقاب. ألا أنه لا يتم ذلك إلا بعد معرفته تعالى على صفاته وجبت معرفته على صفاته، ولما كانت معرفته لا يوصل إليها إلا بالنظر وجب النظر. والمعرفة الضرورية لا تقوم في ذلك مقام الكسبية، لأنها لو قامت مقامها لفعلها في الكافر، ونحن نعلم أن كثيراً من الكفار يموت على كفره، فعلم أن الضرورية ليست لطفاً. ومن ادعى أن الكفار عارفون كابر، لأن المعلوم ضرورة موت كثير من الخلق كأبي جهل وأبي لهب على كفرهم. وأيضاً كان يجب أن يفعل فينا ونحن نعلم من أنفسنا أننا لسنا مضطرين إلى معرفة الله، فبطل أن تكون الضرورية لطفاً. وقيل أنها لو كانت لطفاً لكانت الكسبية أكد، لأن من تكلف مشقة ليبلغ بها غرضاً لا يكون تمسكه بذلك الشيء إذا وصل إليه كتمسكه إذا حصل له الشيء من غير مشقة، وشبه ذلك بمن تكلف بناء دار وأنفق عليها ماله وأفنى زمانه لا يكون في تمسكه بها كمن وهب له تلك الدار، وكذلك من سافر في طلب العلم وتحمل المشاق لا يكون حكمه في التعليم حكم من يقصده العلماء ويقعدون قدامه، والعلم بذلك ضروري. وإذا كانت المكتسبة أكد وجبت دون الضرورية.
